

غزوة بدر الآخرة

كان «أبو سفيان بن حرب» قد آذن المسلمين بالقتال حين قال: الموعد بيننا وبينكم (بدر العفراء) رأس الحول، نلتقي فيها فنقتل، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: (قل: نعم إن شاء الله). ولما اقترب الموعد، أراد «أبو سفيان» ألا يخرج لموعده محتجاً بالمحل الذي نزل بقومه، وقرر إرسال «نعيم بن مسعود» إلى المدينة ليُخَذِّل المسلمين عن الخروج ويحفظ ماء وجهه لعدم خروجه.

ولما أخبر «نعيم» رسول الله ﷺ بجمع «أبي سفيان» وما معه من العدة والسلاح، رد عليه رسول الله ﷺ بقوله: (والذي نفسي بيده! لأخرجنَّ وإن لم يخرج معي أحد).

قال ابن إسحاق عن خروج رسول الله ﷺ: ثم خرج في شعبان - سنة أربع - إلى بدر لميعاد «أبي سفيان»، حتى نزل. وقال ابن هشام: واستعمل على المدينة «عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول» الأنصاري.

فأقام رسول الله ﷺ عليه ثمان ليال ينتظر أبا سفيان، الذي خرج في أهل مكة، ثم نزل بمجئة من ناحية الظهران، وقال بعضهم: قد بلغ عُسفان، ثم بدا له الرجوع، فقال: يا معشر قريش! إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون اللبن، وإن عامكم هذا عامٌ جذب، وإني راجع، فارجعوا، فرجع الناس، فسماهم أهل مكة «جيش السوق»، يقولون: إنما خرجتم تشربون السوق.

وفيما كان رسول الله ﷺ ينتظر مقدم «أبي سفيان» لميعاده إذ أتاه

«مَخْشِي بن عمرو الضَّمْرِي»^(١)، وكان قد وادعه على بني ضمرة في غزوة (وَدَّان) فقال: يا محمد! أجنث للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: (نعم، يا أخا بني ضمرة!) وإن شئت مع ذلك ردنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالذناك حتى يحكم الله بيننا وبينك) قال: لا والله! يا محمد! ما لنا بذلك من حاجة. ثم مرَّ برسول الله ﷺ «معبد الخزاعي» فقال: وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوي به:

قد نفرت من رفقتي محمد وعجوة من يشرب كالعَنَجِدِ^(٢)
تهوي على دين أبيها الأتلي قد جعلت ماء قُدَيْد موعدي
وماء ضَجْنان^(٣) ضحى القَدِ

ولما رجع «أبو سفيان» بالقوم قال له «صفوان بن أمية» في مكة^(٤): قد نهيتك يومئذ أن تعد القوم، وقد اجتروا علينا ورأوا أن قد أخلفناهم. ولم يكن ثمة قتال، فرجع رسول الله ﷺ بالرجال إلى المدينة، ونزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤] وذكر العلامة الألوسي في تفسيره أبياتاً لعبد الله بن رواحة، أو كعب بن مالك في خلف أبي سفيان لموعده:

وعدنا أبا سفيان وعداً فلم نجد
فأُقْسِمُ لو وافيتنا فلقيتنا
تركنا به أوصال عتبة وابنه
عصيتم رسول الله أف لدينكم
وإني وإن عنفتموني لقائل
أطعناه لم نعدله فينا بغيره

لميعاده صدقاً وما كان وافيًا
لأُتْبِ دميماً وافتقدت المواليا
وعمرأ أبا جهل تركناه ثاوريا
وأمركم الشيء الذي كان غاوريا
فدَى لرسول الله أهلي وماليا
شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣/٢٣٢).

(٢) العَنَجِد: حب الزبيب أو الزبيب الأسود.

(٣) ضَجْنان: جبل بناحية تهامة.

(٤) انظر الموسوعة الإسلامية الميسرة (١٧٢٨).